



محمد مصطفى البلخي - سورية

نَبْعَةُ الْحُبِّ

قدم الشاعر لأمه وردة فُضِّلَتْهَا وَقَبِلَتْهَا، وعلى مخدَّتْها وضَعَتْهَا،
ثم كانت هذه القصيدة من وحي ذلك المشهد، ولأول مرة يقدمها
الشاعر منشورة كهدية متواضعة لأمه ولكل أم في الدنيا:

ما كُنْتُ أَعْرِفُ مَعْنَى الْحُبِّ لَوْلَاكِ
لِلْقَلْبِ زَادًا فَكَيْفَ الْقَلْبُ يَنْسَاكِ؟
يُشْرِقُ عَلَى الْقَلْبِ نُورٌ مِنْ مُحَيَّاكِ
إِنْ لَمْ تَدُرِّي فِي رِحَابِ الطُّهْرِ أَفْلاكِ
سُبْحَانَ مُودِعِهَا فِي قَلْبِكَ الزَّاكِي
فَيُورِقُ الْبَيْتُ مَخْضُلًا بِرِيَّاكِ
أَعْلَى حُقُوقِكَ فِي الدُّنْيَا فَأَعْلَاكِ
مَنْ مَبْسَمِ الصُّبْحِ فَالْمَنْصُومِ وَلَاكِ
فَزَغَرَدَ الدَّهْرُ إِجْلَالًا وَحَيَّاكِ
(أُمُّهُ أُمُّهُ عَيْنُ اللَّهِ تَرَعَاكِ)

يَا نَبْعَةَ الْحُبِّ عَيْنُ اللَّهِ تَرَعَاكِ
أَنْتِ النَّشِيدُ بِلَحْنِ الشُّوقِ أَعَزُّهُ
مَا عُدَّ مِنْ عُمْرِي يَوْمَ يَمُرُّ وَلَمْ
كَلَّا وَلَا لَيْلَةً تَزْهَوِ بِأَنْجَمِهَا
أُمُّهُ فِي قَلْبِكَ الْخَفَاقِ مَرْحَمَةٌ
تَشْعُ بِالْذَفَاءِ وَالتَّحْنَانِ حَيْثُ سَرَتْ
يَكْفِيكَ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَسَوْتُنَا
أَقْوَالُهُ فِيكَ تَاغٍ لَأَخٍ قَرَفَدُهُ
(أَحْسِنِ لِلْأُمِّكَ) خَيْرُ الْخَلْقِ رَدَّدَهَا
وصاغ أهنؤَ جَلَّةِ الْأَجْيَالِ مُبْتَهَلًا



يا فَرْحَةَ الشَّعْرِ بَلْ يَا فَخْرَ قَائِلِهِ
يا قِبْلَةَ الشَّعْرِ والأَشْعَارُ بَوَّحَ جَوَى
وهل يَرُدُّ جَمِيلُ الشَّعْرِ مُذْ خُلِقُوا
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ يَحْظُوا بِبُغْيَتِهِمْ!
أَنْتِ الْوَشِيحَةُ رَبُّ الْعَرْشِ أَكْرَمَهَا
كَمْ سِرَّتْ هَوْنًا عَلَى (الْوَهْنَيْنِ) مُثْقَلَةً
وَكَمْ صَبَرَتْ عَلَى (الْكُرْهَيْنِ) رَاضِيَةً!



أُسْتَاذَةُ الْحُبِّ وَالْإِخْلَاصِ لَا عَجَبًا
فَأَنْتِ كَالْوَرْدِ لَوْلَا شَوْكُكَ سَاعِدِهِ
لَا يُجْتَنَى الْوَرْدُ إِلَّا فِي مَوَاسِمِهِ
أَمَاهُ يَا بَلَسَمًا لِلْجُرْحِ أَوْدَعَهُ
خَمِيلَةُ الرَّحِمِ الرَّحْمَنُ يَكْلُوهَا
تَغْذُو الْجَنِينَ رَحِيقَ الْحُبِّ مِنْ دَمِهَا
فَالنُّسْغُ فِي الطِّفْلِ قَلْبُ الْأُمِّ مَتَبَعُهُ
إِنْ يَأْسِرِ الْبَذْلُ فِينَا قَلْبَ نَائِلِهِ
فَمَا هَزَزْنَا جُدُوعَ الْخَيْرِ نَسْأَلُهَا



أَمَاهُ يَا آيَةَ فِي الْحُبِّ نَقَرُوهَا
نَمِيرُكَ الْعَذَبُ لَمْ تَأْسَنْ مَوَارِدُهُ
وَصَدْرُكَ الرَّحْبُ إِمَّا ضَجَّ مِنْ أَلَمِ
حَنَانِهِ نَسَمَاتُ الرُّوْضِ تَمْنَحُنَا
كَمْ مَرَّةً فِي هَجِيرِ الْبُعْدِ يَلْفُحُنِي
أَخَاطِبُ الطَّيْفِ بِالْأَهْدَابِ مِبْتَهِجًا
وَكَمْ غَفَوْتُ وَنُورَ الطَّيْفِ لِي أَلْقُ!
وَلِي دَعَاءٌ عَلَى الْأَيَّامِ أَرْفَعُهُ

إِذَا تَسَامَقَ لِلْعَلْيَا فَأَرْضَاكِ!
مَا جَانَبَ الْحَقَّ مَنْ بِالرُّوحِ قَدَاكِ
بَعْضَ الْجَمِيلِ إِذَا مَا الشَّعْرُ غَنَّاكِ؟
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! بَعْدَاهُمْ وَحَاشَاكِ
مِنْ طِينَةِ الصَّبْرِ وَالْإِيثَارِ سَوَاكِ
وَلَمْ تُبَالِي بِأَعْيَاءٍ وَأَشْوَاكِ!
يَا قَلْعَةَ الصَّبْرِ! مَنْ بِالصَّبْرِ حَلَاكِ؟

أَنْ يُكْرَمَ الْوَرْدُ فِي إِحْيَاءِ ذِكْرَاكِ
وَلَيْهَنَهُ أَنْ يُقَالَ الْوَرْدُ حَاكَاكِ
وَأَنْتِ يَزْكُو عَلَى الْأَيَّامِ مَجْنَاكِ
رَبُّ الْخَلِيقَةِ سِرًّا فِيهِ مَعْنَاكِ
يُزْجِي الْحَنَانَ إِلَيْهَا مِنْ حَنَايَاكِ
لِلَّهِ دَرْكُ! كَمْ دَرَّتْ عَطَايَاكِ!
وَالزَّهْوُ فِي الْكَهْلِ بَعْضُ مَنْ سَجَايَاكِ
فَلْيَشْهَدْ الْكَوْنُ أَنَّ الْكَلَّ أَسْرَاكِ
إِلَّا وَجَدَتْ لَنَا مِنْ خَيْرِكَ الرَّاكِي

فِي بَسْمَةِ الطِّفْلِ أَوْ فِي طَرْفِهِ الْبَاكِي
يَوْمًا لِحَافٍ مِنَ الْأَبْنَاءِ أَوْ شَاكِي
فَقَدْ تَجَوَّدَ بِمَاءِ الْحُبِّ عَيْنَاكِ
عِطْرًا مَدَى الْعُمُرِ مَا أَحْلَى هَدَايَاكِ!
هَمٌّ فَاؤَيِ إِلَى أَفْيَاءِ ذِكْرَاكِ
أَبْثُكِ الشَّوْقُ أَوْ أَصْغِي لِنَجْوَاكِ
بَلْ كَمْ صَحَوْتُ عَلَى تَقْبِيلِ يُمْنَاكِ!
أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِي الْفَرْدَوْسِ مَأْوَاكِ